السفر إلى المجهول... بوابة مفتوحة على كل إحتمالات

عاملات المنازل في البحرين...

ثقوب في مظلة القانون

■ المنامة - هناء بوحجي

□ كانت آثار الضرب المبرح ما تزال واضحة على صدر وكتفَي سلمى بيجوم (35 عاماً) بعد ثلاثة أشهر على هروبها من بيت رب عملها، وفي عينيها نظرة انكسار، وانتظار لانتهاء قضيتها والعودة إلى حيدرآباد حيث أتت.

ذاقت بيجوم صنوف المعاملة القاسية والإهانة على يد ربة عملها على مدى شهر ونصف الشهر، إذ واظبت على ضربها وركلها لسبب مجهول بالنسبة لها لا يمكنها حتى أن تتحاشاه لتتجنب الضرب. فتارة تُضرب بسبب عدم تنظيفها المنزل بشكل جيد، وتارة لجلوسها على السجاد، وتارة لشربها ماءً بارداً، كما أن العائلة لم توفر لها الوجبات المناسبة، بالإضافة إلى أنها لم تتسلم راتبها منذ أن قدمت للعمل قبل خمسة وأربعين يوماً. حتى جاء اليوم الذي ورمت يداها من الضرب وطلبت منها ربة العمل أن تكنس المنزل باستخدام المكنسة اليدوية، وعندما قالت لها إنها لا تستطيع ذلك، انهالت عليها بقضيب معدني ترك جرحاً كبيراً غائراً ونازفاً، فما كان منها إلا أن اتخذت قرار الهروب من المنزل.

ليست بيجوم واحدة من الحالات التي يندر العثور عليها لتروي فصلاً من التعذيب غير المبرر. إذ يتمادى بعض أرباب العمل في التعدي على الحقوق الإنسانية للعاملات بدءاً من الألفاظ المؤذية وصولاً إلى حرمانهن أساسيات الحياة اللائقة كمكان الإقامة المناسب، الوجبات، أوقات الراحة والراتب المنتظم. وفي أحيان لا يتورعون عن إهانتهن وضربهن، فيما تتعرض بعض العاملات للتحرش والاغتصاب، طبقاً لإفادات عاملات منازل ومحاضر شرطة.

فعاملات المنازل في البحرين يشكلن ما نسبته 4.2 في المئة من عدد سكان البلاد المقدر بمليون و106 آلاف نسمة. يعشن في بيوت مغلقة لها حرمتها، ويصعب اختراقها لفحص كيف تعيش هؤلاء العاملات، وهل يستوفين حقوقهن كاملة أم لا.

القصص كثيرة عن إساءة معاملتهن تدعمها إحصائية مركز إيواء السفارة الفلبينية، التي كشفت عن ورود نحو 20 شكوى يومياً في بعض الفترات. تتحدث السفارة عن سوء معاملة مختلفة الأشكال، ويمكن قياس المسألة على بقية الجنسيات التي تعمل في هذه المهنة، والأسوأ حظاً هنّ اللاتي لا توجد لديهن سفارات في المنامة، في الوقت الذي تنوه فيه الإحصاءات الرسمية بين أكثر من طرف وجهة حتى ليبدو البحث عن حجم الشكاوى، ضرباً من الاستحالة.

> بطء الإجراءات من شأنه أن يمحو آثار الجرائم ويضيع الأدلة

المشكلة لا تكمن في سوء المعاملة وحسب، لأنها مشكلة متكررة في الكثير من البلاد العربية وغير العربية، بوجود عاملات في منازل تتباين نفسيات وخلفيات ساكنيه؛ ولكن المشكلة لها في البحرين مكان آخر، تبدأ من وكلاء عاملات المنازل في بلدانهن وفي البحرين، والاتفاقات الفضفاضة بين العاملة ورب العمل، وعدم وجود ما يفحص تحقق حتى الشروط الدنيا التي تشتمل عليها هذه الاتفاقات.

> عقود العمل مهلهلة لا يقرأها رب العمل ولا تعيها العاملة ولا من يفتش وراء صحة تطبيقها

أما العائق الأكبر لتعريف حقوق هذه الفئة من العمالة وحمايتها فهو استثناؤها من غطاء قانون العمل. تأتي بعد ذلك الإجراءات المتشعبة والطويلة، في حال التعرض للضرر وهي غالباً ما تفسد أي قضية تتقدم بها عاملة المنزل المتضررة، إضافة إلى جهل الكثيرات من هذه الفئة بحقوقهن الأساسية، وما الذي يمكن اعتباره إساءة، إلى أن يطفح بهن الكيل، كما فعلت بيجوم التي ركضت إلى خارج المنزل طالبة المساعدة، وسمح لها صاحب سيارة نقل عمال بالركوب وتوصيلها إلى مكان قريب من مركز الشرطة، إذ كان يخشى أن يتورط بمشكلتها، ووضعها الجسماني الذي بدت عليه.

تعد بيجوم محظوظة بالجروح النازفة والحالة المزرية التي بدت عليها عندما دخلت مركز الشرطة، وإلا ففرصتها كانت ستتضاءل للحصول على حقوقها، إذ لا بد أن تكون آثار التعذيب واضحة وطازجة حتى تشكل دليلاً على تعرضها للتعذيب، كما ساعدها أن من التقطها في الشارع اتصل بصحافي لنشر قصتها في صحيفته، ما شكل ضغطاً لصالحها.

وافق رب عمل بيجوم – الذي اتهمها بالسرقة والهرب، وتحت الضغوط والمفاوضات من قبل جمعية حماية العمالة الوافدة – على دفع مستحقاتها للفترة التي عملت خلالها في منزله، فيما يزال الشق الجنائي لقضية بيجوم أمام المحاكم، بينما تعيش في ملجأ جمعية حماية العمالة الوافدة بانتظار انتهاء محنتها.

التوزيع الجغرافي لمصادر عاملات المنازل

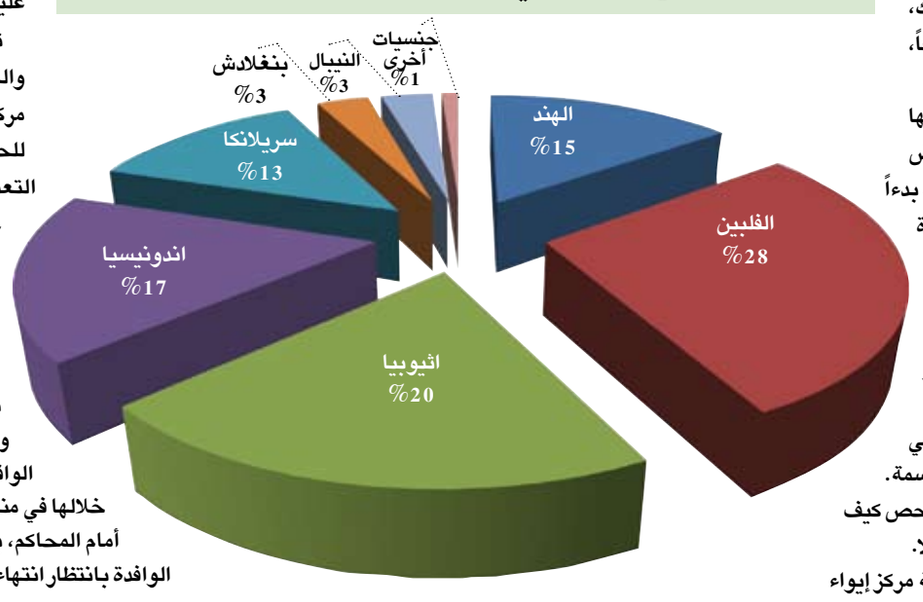

الرزق المر... دعوة لتبادل الأدوار

□ من منا دعاه الفقر والعوز لأن يقبل أن يرهن مستقبله بقروض طائلة تاركاً أسرته، متنقلا بين أيادي سماسرة البشر، ومن محطة الى أخرى في رحلة قد تستغرق أياما قبل أن يستقر في مقعد طائرة تأخذه مغتربا في أقاصي الأرض الى مكان غير معروف، وعمل غير معروف، وعند رب عمل غير معروف، حاملا حقيبة مهترئة خالية إلا من الحلم بلقمة عيش لمن خلّفهم وراءه، وبحياة أفضل؟

من منا يقبل أن يوقّع أو يبصم، في محطته الأولى في البلد الغريب على عقد لا يفقه المكتوب فيه؟ وأن يصدم بواقع أنه سيعمل ثلاثة شهور بلا راتب، لأن السماسرة الذين أوصلوه الى هذه المحطة اقتسموا هذه الرواتب فيما بينهم، وأهدوا ثلاثة شهور من عمله مجانا للكفيل المنتظر وهو لا يعلم عن الأمر شيئا؟ من منا يقبل أن ينتظر محبوه شهوراً قبل أن يصلهم منه ما يعوضهم فقدان القرب والحنان؟

من منا خطر بباله كيف تكون الليلة الأولى في مكان غريب، بين غرباء، ولا يعرف شيئا عما ينتظره؟

من منا يقبل أن يستيقظ في يومه الأول على أوامر بلغة لا يفهمها، وتعطى له مسئولية أجهزة لا يعرف كيفية تشغيلها، ويُحاسب على مستويات نظافة وترتيب لم يسمع بها من قبل؟

من منا يقبل أن يكون عليه أن يفهم أمزجة أهل البيت الذي يعمل فيه ويتحملهم فرداً فرداً، ويلبي طلباتهم واحداً واحداً، صغيراً كان أم كبيراً، بدءاً من جلب كأس الماء وحتى تنظيف الحذاء، وفي أي وقت يشاء؟

من منا يقبل أن يجرَّد من وثائقه... هويته... ويُودع في مكان بلا وسيلة اتصال بالعالم الخارجي، ويُمنع من استخدام الهاتف، من محادثة من ينتمون الى بلده إنْ تصادف وجودهم في الجوار؟ من منا يقبل ان يبقى بلا هاتف للطوارئ لو حدث له مكروه؟

من منا يقبل أن يُحرم من الاحتكام الى عقد وقانون لو شعر بالظلم؟

من منا يقبل أن يعمل طيلة اليوم بلا أوقات راحة منتظمة؟ من منا يقبل أن يعمل 7 أيام متواصلة دون يوم إجازة؟ وحتى هذا اليوم إن أعطي له فلا يمكنه أن يختار أين يقضيه؟ ومن منا يقبل أن يعمل سنتين متتاليتين من دون إجازة مدفوعة الراتب؟ فكيف بمن يعمل 14 عاماً من دون هذا كله، وبلا راتب كما حدث مع قمر النسا رسول؟! من منا يقبل أن يعمل في مكان الخطأ فيه غير مقبول، فإن خذله حذره، يفاجأ بصفعة على وجهه، أو ضربة مهينة على كتفه أو ظهره إذا ما أخطأ في مقادير الطبخ، أو حرق كُمّ القميص، أو أسقط كأسا على الأرض وكسره؟

من منا يقبل أن يُحجب راتبه ويُهدد باستخدامه لـ«تسفيره» في أي لحظة لا يكون فيها وفق ما يُراد منه أن يكون؟

من منا يقبل أن يتعرض لتحرش وربما اغتصاب لا سبيل لرده إلا فقدان الوظيفة والتيهان في إجراءات طويلة وبطيئة إن أراد ان يأخذ قضيته الى المحاكم؟

هذا التحقيق لا يفترض أن كل عاملات المنازل ملائكة، ولا يفترض أن كل أرباب وربات البيوت شياطين ومجرمين، إنما هو جولة في عالم الطرف الأضعف في علاقة العمل: عاملات المنازل، رُصدت خلالهُ انتهاكات مخيفة مردّها ثغرات قانونية، وإجراءات كسولة، وعدم وعي العاملات بحقوقهن، يوازيه عدم وعي مجتمعي بالفارق بين عمالة المنازل والرقيق في زمن العبودية.

هذا التحقيق هو دعوة لتبادل الأدوار بين طرفي عقد عمل لم يرقَ بعد الى مستوى حفظ الحقوق... لاستنهاض إنسانية الطرف الأقوى: رب العمل، ريثما تستقيم الأمور بقوانين تعرّف الحقوق، تصونها وتحميها.

هناء بوحجي